

## التدخل الاجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة وموقف الشعب اليمني ازاءه

د. فاروق عثمان اباطه \*

يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات التي يكتنفها كثير من الغموض في تاريخ اليمن القديم ، نظرا لعدم توفر غالبية المصادر التاريخية الاصلية التي يمكننا من خلال دراستها تقصي الحقائق حول هذا الموضوع الهام . ولكننا نستعين في هذا الصدد ببعض النقوش القديمة التي تمت ترجمتها ، وبعض الكتابات الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، اضافة الى بعض المخطوطات التي كتبها الاخباريون العرب والمؤرخون اليمنيون في صدر الاسلام ، فضلا عن مجموعة من الدراسات التحليلية التي اجراها بعض الباحثين حول هذا الموضوع .

ويمكن القول بأنه من الثابت لدينا ان اليمن قد تعرض لتدخلات اجنبية متعاقبة في نهاية عهد حضارته القديمة ، وبخاصة في القرنين السادس والسابع الميلاديين نتيجة لتطلع القوى الكبرى المعاصرة من جهة ، والدول التي تسير في ركابها من جهة أخرى ، للسيطرة على اليمن والاستحواذ على ثرواته . تلك الثروات الناتجة عن الزراعة المزدهرة والتجارة الرائجة ، والمعادن المخترنة في

- 
- \* يعمل مدرسا للتاريخ الحديث بكلية الاداب جامعة الاسكندرية . سبق وأن عمل محاضرا بكلية التربية العليا بجامعة عدن ثم خبيرا للتراث بالمركز اليمني للابحاث الثقافية بـعدن .
- عضو بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
  - حصل على درجة الدكتوراة في التاريخ من كلية الاداب بالاسكندرية .
- من مؤلفاته :

- الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ .
- الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٢٩ - ١٩١٨ .
- الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

أرضه ، والموقع الممتاز الذي يتوسط طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب .

وقد حدثت هذه التدخلات الأجنبية في فترات مني فيها اليمن بحالة من الضعف والتفكك في نهاية عهد حضارته القديمة ، بلغت ذروتها في أوائل القرن السادس الميلادي . ومن المرجح أن تلك الحالة ترجع إلى أن الأقلية الحاكمة التي كانت توجه المجتمع اليمني حينذاك قد تحولت إلى سلطة تعسفية ، وذلك بعد أن تفسخت الأوضاع القائمة في اليمن . وقد حدث ذلك بعد أن بدأ العمل ، يقل تدريجياً ، بنظام الاستشارة الذي شاع في نظام القبيلة ، والذي كان يعتبر امتداداً « للديمقراطية البدائية » ، حتى كاد يختفي تماماً في القرن الثالث الميلادي . ويرجح أيضاً أن الأغلبية العاملة من الشعب اليمني ، والمثلة في القبائل اليمنية ، قد تخلت عن موالة الأقلية الحاكمة التي بدأت تخفي فشلها باستخدام الأساليب التعسفية ضد الأغلبية المحكومة ، مما أحدث انقساماً خطيراً داخل المجتمع اليمني .

وقد أدى هذا الانقسام بين صفوف اليمنيين إلى إتاحة الفرصة أمام القوى الطامعة لبدء تدخلاتها المتعاقبة في بلاد اليمن . واستقرت هذه القوى وراء الديانتين الجديدتين اللتين وصلتا إلى اليمن عبر المسالك التجارية البرية والبحرية من الشمال والغرب على وجه الخصوص ، وتمثلتا في اليهودية والمسيحية . وقد حاولت السلطة الممثلة للأقلية المسيطرة على اليمن أن تخفي فشلها السياسي بفرض الديانة اليهودية بعد أن بذلت محاولات عقيمة للتوفيق بين معتققي الديانتين حتى تخفي سلبات نظامها المنهار . وأدى ذلك إلى تقسيم اليمنيين إلى فريقين متناحرين يقتاتلان من أجل نصرته إحدى هاتين الديانتين على الأخرى ، وخاصة بعد أن تعرضت العقائد الوثنية القديمة لدى الجماهير اليمنية لضربات عنيفة نتيجة لتلطيخ قيمها السابقة وسمعتها التي أفل نجمها . وقد عانى اليمنيون نتيجة لذلك معاناة شديدة من الضياع الفكري حينذاك . واعتري ثقافتهم القديمة فتور زائد بعد أن شاخت تلك الثقافة ، ولم يعد بمقدورها مواكبة الحياة الجديدة بشكل متكامل والاستجابة لمطالبها .

وإذا كان اليمنيون قد تمكنوا من صد الغزو الروماني وإبعاده عن بلادهم عام ٢٤ ق.م . فإن ذلك قد حدث قبل تفسخ الأوضاع القديمة في البلاد ، حيث كانت اليمن تتميز بوجود حكومات لاقليم ومدن يحكمها ملوك أقوياء . ونظراً لعدم وجود صدى معين لهذا الحادث الخطير في النقوش اليمنية المعروفة حتى الآن (١) ، فإن المصدر الوحيد الذي نستقي منه معلوماتنا عن هذه الغزوة هو الكتابات الكلاسيكية وخاصة ما كتبه « Strabo » (٢) معاصر وصديق القائد الروماني « اليوس جالوس Aelius Gallus » ثاني ولاية مصر (٢٦ - ٢٤ ق.م) (٣)

في عهد الامبراطور الروماني « أوجسطس » والذي قاد حملة الرومان لغزو بلاد العرب السعيدة "Arabia Eudaemon" كما كان يسميها « بطليموس » . وكان الرومان يهدفون من حملتهم تلك ، على نحو ما يشير « سترابو » ، محاولة احتلال بلاد العرب التي اشتهر أهلها بالغنى ، والعمل على اكتساب صداقتهم ، تلك الصداقة التي كانت لا تعني سوى التبعية للرومان بطبيعة الحال .

وقد اعتمد الرومان في غزوهم للجزيرة العربية على حلفائهم النبط ، حيث كان دليلهم ومستشارهم الوزير النبطي « سيلاس » على رأس ألف من الانباط اشتركوا في الحملة الرومانية . أما الحملة الرومانية نفسها فكان قوامها عشرة آلاف جندي يمثلون فرقة رومانية . تحركت على ظهر اسطول مكون من ثمانين سفينة ومائة وثلاثين حاملة للجنود من ميناء « كليوباتريس » ( ارسينوي ) — القريب من السويس — في عام ٢٥ قبل الميلاد ، متجهة الى ميناء « لايكه كومه Leuke Kome » (٤) النبطي ( الحوراء ) — في الحجاز — فوصلوا اليه بعد أن غرقت بعض سفنهم بمن فيها من جنود وعتاد ، نظرا لسوء اختيارهم لنوعية السفن مما يظهر جهلهم بطبيعة البحر الاحمر . ولهذا كان انضمام الانباط للحملة الرومانية في « لايكه كومه » دعما وتعزيزا لقوة الرومان .

وبعد أن استراح جنود الحملة من عناء رحلتهم في « لايكه كومه » تحركوا صوب الجنوب . فكانت اول المدن اليمنية التي تعرضت لهجومهم مدينة « نجرانا Negrana » — ويرجح أنها « نجران » — التي هرب ملكها . ثم اتجهوا الى « أسكا Asca » — ويرجح أنها « نشق » — التي سلمها ملكها للرومان دون مقاومة . على أنه في الطريق بين « نجران » و « نشق » حدثت معركة عند نهر قتل فيها — كما يزعم « سترابو » — عشرة آلاف من العرب في مقابل رجلين من الرومان . ولا شك أن في ذلك مبالغة مكشوفة وساذجة في نفس الوقت ، وأن كان « سترابو » قد برر انتصار الرومان — المبالغ فيه — بتفوقهم في أساليب الحرب وعدد القتال .

وأعقب هذه المعركة سقوط « اثرولا Athrula » في أيدي الرومان — ويرجح أنها « يثل » — وقد سلمت دون مقاومة ، فوضع « جالوس » فيها حامية رومانية وأخذ يجمع من سكانها الحبوب والتمر لتغذية جنوده . وهكذا أصبح الطريق الى « ماريابا Mariaba » (٥) — التي يرجح الدارسون أنها « مأرب » (٦) — سهلة وميسرة . غير أن المدينة نفسها كانت قوية التحصين مما اضطر الرومان الى محاصرتها فترة بلغت ستة أيام ، ثم نكسوا عنها بسبب قلة المياه العذبة . وأخيرا قرر « ايليوس جالوس » العودة الى بلاده بمن بقي من

رجالهم، بالرغم من أنه علم من الأسرى العرب أنه كان على بعد مسيرة يومين من أرض البخور — ويرجح أنها حضرموت بجنوبي اليمن . وقد استغرقت رحلة ذهاب الرومان من « لايكه كومه » الى « ماريابا » ستة أشهر ، لان الوزير النبطي « سيلاس » لم يحسن ارشادهم ، بينما استغرقت رحلة العودة الى ميناء « نجران » — التي يعتقد أنها « ينبع » — ستين يوما فقط ، مما عرض الوزير النبطي لعقوبة الاعدام لخيانته المزعومة التي يؤكدها « سترابو » دون أن يقتنعنا بما يدعم ذلك الزعم .

ويستلقت نظرنا في وصف تلك الحملة من الناحية التاريخية على نحو ما أورده « سترابو » وصفه لمدينة « ماريابا » بأنها مدينة « الرامينتي » التابعين « لايلازاروس Ilassarus » . وهذا الاسم يرجح أنه يقابل في العربية « الشرح » وهو ما ذهب اليه « جام Jamme » وبنى عليه تاريخ عهد « الشرح يحضب » ملك « سبا وذوريدان » (٧) . ولكن اذا كان « جالوس » قد بلغ « مأرب » حقا ، فلماذا قامر بالانسحاب الكلي ، في وقت بدت فيه اليمن اقل تماسكا عما كانت عليه من قبل ، وان كانت المعركة التي حدثت فيما بين « نجران » و « نشق » تدل على تجمع يماني كبير ضد الغزو الروماني لان عدد القتلى العرب كما يقول « سترابو » بلغوا عشرة الاف رجل ، وان كنا نشك في صحة هذا الزعم . واذا تساعلنا الى اي مملكة كان هؤلاء العرب ينتمون ، ومن كان يقود حركة المقاومة تلك ، وهل حاول « السبتيون » التصدي للرومان حينذاك قبل بلوغهم « مأرب » حتى اذا عجزوا عن ذلك فروا عائدين الى عاصمتهم « السبئية » ليجتمعوا فيها ويدافعوا عنها . فاذا كان ذلك قد حدث فلماذا لم يسجلوه على نقش من النقوش الكثيرة التي كشف عنها في معبد « المقه » — المعروف بحرم بلقيس في « مأرب » .

وعلى أية حال فان ما يمكن قبوله من أقوال « سترابو » ، الذي بدا انحيازه واضحا للدفاع عن صديقه قائد الحملة وعن سمعة امبراطوريته ، هو ان الرومان حاولوا في حوالي عام ٢٤ قبل الميلاد غزو « بلاد العرب السعيدة » ، ولكن قائدهم « اليوس جالوس » لم يحسن الاعداد لحملته تلك ففشلت منذ وصولها الى « لايكه كومه » على ساحل الجزيرة العربية الغربي ، وان اليمنيين استبسلوا في الدفاع عن مدينتهم « ماريابا » ، بتجمع يماني كبير (٨) ينم عن أن بلادهم لم تكن قد بلغت بعد ذروة التفكك ، الذي سيظهر بشكل ملحوظ في أوائل القرن السادس الميلادي ، على نحو ما سوف نشير اليه فيما بعد .

وجدير بالذكر أن « سترابو » أشار نقلا عن « ايراتوستينيس » (٢٧٦ — ١٩٤ ق.م) الى أن « أرض الطيب والبخور » ويقصد بها اليمن تتألف من

أربعة أقسام :

- أولا :** "Minaei" أي « المعينيون » وعاصمتهم « قرناو » أو « قرنو » .  
**ثانيا :** "Sabaei" أي « السبئيون » "Mariaba" أي « مأرب » .  
**ثالثا :** "Chattabnae" أي « القتبانيون » وعاصمتهم "Tamna" أي « تمنع »  
وتقع بلادهم على ساحل البحر الغربي .  
**رابعا :** "Chatramotita" وهم الحضارم أهل حضرموت وعاصمتهم "Sabata"  
أي « شبوه » وهم أبعد هذه القبائل اليمنية إلى الشرق .

كما أشار « سترابو » بإيجاز إلى الناحية الاجتماعية التي كانت عليها اليمن في نهاية القرن الأول قبل الميلاد . فذكر أن المجتمع كان مقسما إلى طبقات ، لكل طبقة واجب ووظيفة وراثية تنتقل من الآباء إلى الأبناء . فهناك طبقة المحاربين ووظيفتهم الدفاع عن الطبقات الأخرى . وطبقة المزارعين وشغلهم تهيئة القوات والطعام لاعاشة سائر الشعب . وطبقة ثالثة وظيفتها التجارة التي لم تكن تنتقل من أسرة إلى أسرة ، بل كان على كل فرد أن يمارس حرفة أبيه (٩) . على أن فشل حملة « ايليوس جالوس » لم تؤثر في خطة الإمبراطور « أجسطس » في السيطرة على البحار الجنوبية . فقد أشار « سترابو » إلى أن الرومان أرسلوا سفنا إلى الهند ، كما عثر على نقود رومانية في شبه القارة الهندية تؤكد وصول الرومان إليها حينذاك ، أو إلى مقربة منها على أقل تقدير . هذا على الرغم من عدم وصول أخبار مفصلة إلينا عن مشروعات الرومان في جزيرة العرب بعد حملة « ايليوس جالوس » المشار إليها . ويرجح أنهم غيروا خططهم بعد فشل تلك الحملة ، فلم يفكروا في فتح عسكري مباشر لجزيرة العرب يكون متجها من الشمال إلى الجنوب مخترقا الطرق البرية الصعبة عبر الفياضي والقفار . بل انهم راوا من الأفضل اتباع السبل التالية :

- ١ — تقوية اسطولهم الروماني في البحر الأحمر .
- ٢ — تحسين علاقاتهم السياسية بالامارات القائمة في جنوب الجزيرة العربية للحفاظ على مصالحهم الاقتصادية كلما أمكن ذلك .
- ٣ — توجيه انظارهم نحو الساحل الشرقي لأفريقيا عامة ، وساحل الحبشة على وجه الخصوص ، فعقدوا اتفاقيات صداقة مع حكام مملكة « أكسوم » وكونوا حلفاء معهم .
- ٤ — أخذوا يضغطون منذ ذلك العهد على السبئيين في اليمن حتى يستجيبون لتحقيق ما يتفق والمصالح الرومانية .
- ٥ — نجحوا في عقد معاهدة تحالف مع ملك « ظفار Saphar » وهو ملك « الحميريين Himeritae » كما ورد في كتاب « الطواف حول البحر »

وهكذا حرص الرومان على مد نفوذهم السياسي والاقتصادي المستند الى النشاط البحري للاسطول الروماني في البحر الاحمر لدعم علاقاتهم بامارات جنوبي الجزيرة العربية مما سيتيح الفرص المناسبة لتدخل الرومان ثم البيزنطيين في الشؤون اليمنية بأسلوب جديد .

اما بالنسبة للدور الذي لعبه الرومان في عدن ، فيحدثنا مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الاريتري » بأن « القيصر Kaiser » استولى عليها في زمن غير بعيد عن العصر الذي عاش فيه . وذهب بعض الباحثين الى أنه كان لمساعدات اهل « أكسوم » الاحباش فضل في احتلال الرومان لميناء عدن عن طريق البحر ، نظرا لان طريق البركان ، الذي يخترق المنطقة المحيطة بعدن من ناحية البر ، كان في ايدي السبئيين والقبائل العربية الاخرى . وفيما يتعلق « بالقيصر » المقصود فقد ذهب بعض الباحثين الى أنه كان « كراكلا Caracalla » لانه كان قد هاجم العرب سكان الخيام "Scenitae" في أثناء الحرب الثانية التي شنها « سبتيوس سيفيروس » على « البارثيين » بين عامي ١٩٧ و ١٩٩ ميلادية . وان كان بعض الباحثين يرون غير هذا الرأي ويرجحون بأن المقصود من كلمة « قيصر » هو « الاشعر Il-Aisar » نسبة الى « الاشعريين » الذين كانت ارضهم غير بعيدة عن عدن . وقد ذهب فريق ثالث الى أن لفظة « قيصر Kaiser » انها هي كلمة « الاشعر Ilisar, Ilasar » التي جاء ذكرها في حملة « ايلوس جالوس » وقصد بها « اليشرح يحضب » . ويرى هذا الفريق أن ميناء عدن تعرض للتخريب ابان حروب « اليشرح يحضب » مع « قتبان » و « حضرموت » .

وبعد أن احتل الرومان عدن تمكنوا من التوجه منها الى الهند والى السواحل الشرقية لافريقيا . ووضع الرومان في عدن حامية عسكرية لضمان سلامتهم ، كما ابقوا في مينائها سفنا تحمل رماة من الجنود الرومان لمقاومة القراصنة . ورغم عدم معرفتنا لموعد جلاء الرومان عن ميناء عدن ، فانه من الثابت لدينا أنهم كانوا يقيمون لهذا الميناء الهام وزنا كبيرا حتى انه عرف « بمستودع الرومان Romanium Emporium » (١١) نظرا لاهميته الاقتصادية ، مما يؤكد أن الرومان لم يتركوا هذا الميناء الا عندما اضطروا الى ذلك . وقد اقامت في عدن أثناء تبعيتها للرومان جالية رومانية كبيرة من اصحاب السفن والمستغلين بالتجارة .

ومنذ قيام الامبراطور « تراجان » بانشاء ما يسمى « بالولاية العربية Provincia Arabia » على حطام « مملكة النبط » في عام ١٠٥ ميلادية ، فقد أحدث تغييرات هامة في الادارة وطرق المواصلات واصل الجباية . اذ أنشأ

طريقا مهمة من « ايلسه » على رأس خليج العقبة مارا « بالبتراء » ثم ببلدة « بصرى Bostra » ، فدمشق ، وصارت « بصرى » محطة هامة للقوافل القادمة من الحجاز واليمن .

واخر ما يقال عن تدخل الرومان في شؤون جزيرة العرب عامة ، واليمن على وجه الخصوص ، هو أن القيصر « سبتيوس سيفيروس » أرسل حملة عسكرية في عام ٢٠١ ميلادية توغلت في « العربية السعيدة » . غير أن معارفنا عن هذه الحملة محدودة ، ويرجح أنها تقدمت من « الولاية العربية » التي انشأها «تراجان» واتجهت الى اليمن . كما يرجح أن الذي قادها الى « العربية السعيدة » هو ابن « سبتيوس سيفيروس » ويدعى « كاركالا » . وقد زحف بقواته الرومانية على اراضي العرب الساكنين في أعالي « العربية السعيدة » ويرجح كذلك أن تلك الحملة وصلت الى « ديار ثمود » (١٢) .

وجدير بالذكر أن الرومان شكلوا كتائب من الجنود العرب لحماية الطرق في الجزيرة العربية ولحراسة حدودهم الطويلة ، مفضلين بذلك الاعتماد على الجنود العرب المحليين في تحقيق تلك المهمة . وتشير بعض الكتابات الصفوية "Safitic" التي دونها أصحابها وأشاروا فيها الى فرحهم وحدهم لالتهام ، لانها ساعدتهم في فرارهم من الخدمة في الجيش الروماني ورجوعهم الى أهلهم سالمين ، بعد أن قتل غيرهم أثناء فرارهم بأيدي من كانوا يتبعونهم من الرومان أو البيزنطيين . وذكرت أسماء كثير منهم في تلك الكتابات مثل « حنين بن حنين بن ايساس » و « مغير بن محلم » و « تيم ايل » و « سواد بن يسلم » .

ولا شك أن هذه الأحداث والتطورات السياسية والعسكرية التي وجهت انظار الغرب منذ أيام الاسكندر الأكبر نحو الشرق ، أدت الى نزول اليونان ثم الرومان بأنفسهم الى البحار الشرقية الدافئة ، لمنافسة العرب في تجارتهم وفي البحار الاخرى القريبة من بلادهم . فبنوا سفنا أقوى وأسرع ، وأخذوا بالتدريج يحتلون الموانئ الهامة ، ويقيمون لهم قواعد عسكرية قوية على السواحل لحماية خطوط مواصلاتهم البحرية . وبذلك أصابوا التجارة العربية اصابة مباشرة وأنزلوا بها ضررا بالغا . وادى هذا الى اضعاف مركز العرب الجنوبيين اليمنيين اضعافا شديدا وإلى الحاق الأذى بمصالحهم . كما صار الروم وغيرهم يتدخلون في شؤون « العربية الجنوبية » تدخلا مباشرا أحيانا وغير مباشر أحيانا أخرى على نحو ما سيحدث فيما بعد (١٣) ، وخاصة عندما تفتقر اليمن الى حكومة حميرية قوية في نهاية عهد حضارتها القديمة .

ففي القرن الاول الميلادي مني اليمن بتدخل حبشي نتيجة لتواطؤ قبائل « همدان » مع الاحباش في بداية ظهور الانقسامات داخل صفوف المجتمع اليمني

القديم . ولعل هذه الحالة المتردية هي التي يطلق عليها المؤرخ البريطاني « أرنولد توينبي » بـ « بزم الاضطرابات حيث تنشأ الفتن والحروب بين القوى الاقليمية داخل مجتمع له كيان حضاري واحد . فقد جاء الهمدانىون بالاحباش لأول مرة الى اليمن ليساعدوهم في حروبهم ضد « حمير » في سنة ١٢٧ ميلادية أو قبيل هذا العام بقليل .

وكما هو معروف ان الدولة الاكسومية أو الحبشية التي استعانت بها قبائل همدان في ذلك الحين كانت من سلالة القبائل اليمنية القديمة المهاجرة الى الحبشة في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وأهمها قبائل « سحرت » و « حبشت » و « الاجاز » و « المهرة » فقد استطاعت تلك القبائل اليمنية المهاجرة أن تتفوق على أصحاب البلاد من عناصر افريقية وحامية نتيجة لتفوقها الحضاري عليها ، وأن تبسط عن طريق نفوذها الاقتصادي سلطانها السياسي والثقافي على الحبشة (١٤) وكان لهذه العناصر اليمنية دور كبير في تأسيس الدولة الاكسومية في الحبشة التي بقيت حوالي ثمانية قرون من القرن الاول قبل الميلاد حتى مجيء الاسلام في القرن السابع الميلادي . وهكذا تمكنت قبائل همدان عن طريق تحالفها مع الاحباش أن تخضع « سبأ » و « بني حمير » حتى تلقب « بنوهمدان » لبعض الوقت بلقب « ملوك سبأ وذو ريدان » . وفي مقابل هذا التحالف استطاع الاحباش أن يضمّنوا لهم أملاكاً في منطقة تهامة اليمنية المواجهة للحبشة .

على أن هذا التحالف بين قبائل همدان والاحباش لم يستمر طويلاً نظراً لان الاحوال في اليمن كانت غير مستقرة ، كما أن انتصار همدان لم يكتب له الاستمرار . ومن هنا بدأ الاحباش يتحالفون مع الفريق اليمني المنتصر ، فتحالفوا تارة مع « حمير » ضد « همدان » ، كما تحالفوا مرة أخرى مع « همدان » ضد « حمير » حتى تنبه الهمدانىون والحميريون الى التحالف ضد الاحباش الاجانب في فترة يقظة وطنية ، وتمكنوا بذلك من طرد الاحباش من اليمن ، وتخلصوا حينذاك من هذا التدخل الاجنبي .

وقد تعرضت اليمن لهجوم حبشي ثان قادّه الملك الحبشي « ايلاميدا الاول » في النصف الاول من القرن الرابع الميلادي قام به الاكسوميون المنحدرون من أصل يمني ، وقد استعاد هؤلاء الاحباش نفوذهم على السواحل الغربية لليمن المواجهة لبلادهم . واستمر نفوذ الاحباش هناك طوال الفترة الممتدة بين عامي ٣٤٠ و ٣٧٥ ميلادية ، حتى تمكن اليمنيون من طردهم من اليمن بعد أن تلقب أحد ملوك الاحباش بلقب « ملك اكسوم وحمير وذو ريدان وحبشت وسبأ وزليع وتهامة » (١٥) مما يظهر مدى تسلطه على جزء كبير من اليمن والحبشة وبعض المناطق الافريقية في ذلك الحين .



وأثناء وجود الاحباش في اليمن في تلك الفترة انتشرت المسيحية داخل المجتمع اليمني بعد أن فقد الثقة في معتقداته الوثنية . فقد اعتنق ملك حمير الديانة المسيحية في سنة ٣٦٠ ميلادية ، وبدأت الكنائس المسيحية تشيد في المدن اليمنية كظفار وعدن ، وبدأ التقرب الى الاله « ذسموى » أي « الاله رب السماء » . غير أن هذا التطور الديني نحو التوحيد عن طريق اعتناق اليمنيين للديانتين اليهودية والمسيحية قد حاولت أن تستفيد من ورائه القوتان العظمتان المتحكمتان في شعوب الشرق الاوسط المتمثلتان في دولتي الفرس والروم . وبدأ الروم يدعمون انتشار المسيحية في اليمن لينفذوا عن طريقها الى داخل البلاد حتى يتحكموا في مقدراتها بما يخدم مصالحهم الاقتصادية والسياسية فيها .

وقد أوجد الصراع الدولي بين الروم والفرس في احداث بلاد اليمن في القرن السادس الميلادي ثغرة انتقل منها الى بلاد العرب ، وذلك أن صراعاً نشب في اليمن بين أتباع اليهودية فيها وأتباع المسيحية ، وأتاح لكل من الفرس الوثنيين والروم المسيحيين التدخل في تلك المشكلة الداخلية تحت ستار مساعدة أتباع كل دين .

وكانت الديانة المسيحية قد دخلت شبه الجزيرة العربية منذ انتشارها في فلسطين ، وزاد عدد أتباعها نتيجة السفارات التي بعث بها اباطرة الروم الى شتى أرجاء الجزيرة العربية وخصوصاً الى بلاد اليمن في عهد مملكة حمير ، ولم تلبث بعض جهات اليمن أن اعتنقت المسيحية في سنة ٥٠٠ ميلادية . وأضحت « نجران » كرسياً أسقفياً في العقد الثاني من القرن السادس الميلادي (١٦) . غير أن أحد ملوك حمير الذين حكموا اليمن في القرن المذكور وهو « ذونواس » الحميري اعتنق اليهودية وتعصب لها ضد المسيحية وأتباعها . وأصبح الصراع بين اليهودية والمسيحية متوقفاً في القرن السادس الميلادي نتيجة اختلاطه بالمنافسة الاقتصادية والسياسية للقوتين العظمتين في العالم في ذلك الحين . إذ وجد ذو نواس اليهودي أن التجار المسيحيين من الروم وعملاءهم الاحباش يسيطرون على تجارة البحر الاحمر مما أصاب بلاد اليمن بالفقر الاقتصادي . وقد انتاب « ذونواس » شك عميق في ميول رعاياه المسيحيين في نجران نحو هؤلاء التجار الروم والاحباش لاشتراكهم معهم في الدين ونظر اليهم على أنهم رمز التدخل الاجنبي في اليمن ومصدر فقرها وشفائها . فأذهرهم بترك دينهم واعتناق اليهودية، وحينما رفضوا الانذار زج بهم في أخدود وقضى عليهم حرقاً في اكتوبر سنة ٥٢٣ ميلادية .

ومن المرجح أن قيام « ذونواس » بتعذيب المسيحيين اليمنيين لم يكن مرجعه تعصبه لليهودية فحسب ، بل أن ذلك كان مرتبطاً بالصراع السياسي الذي كان

محمدا حينذاك بين الفرس والروم لاحتلال اليمن . فقد وصل الاحباش الى سواحل اليمن الغربية من جديد وأقاموا لهم فيها قواعد وعقدوا عدة أحلاف مع الامراء المنافسين للملك « حمير » ، وصاروا يحرضونهم ضد السلطة الحميرية المتهددة ليتمكنوا بذلك من السيطرة على اليمن وعلى منافذ البحر الاحمر والمحيط الهندي لصالحهم ولصالح حلفائهم الروم في وجه النفوذ الفارسي ، وقد مهدت هذه الفتنة السبيل امام الاحباش أن يسيطروا على اليمن . والمرجح أيضا أن الاحباش كانوا قد نزلوا الى أرض اليمن قبل قيام « ذونواس » بتعذيب نصارى اليمن بسنين . فقد وقعت حروب بينه وبين الاحباش قبل ذلك ، مما يساعدنا على تفسير حوادث اضطهاد المسيحيين في « نجران » بأنها جاءت كرد فعل ضد التدخل الحبشي المتكرر في شؤون اليمن حينذاك .

وقد سجل لنا كل من الطبري (١٧) وابن الاثير (١٨) وصفا لحادثة الاخدود في نجران ، وان كنا ما زلنا في حاجة لاسانيد مادية محددة لتقييم هذه الحادثة . وإذا كان القرآن الكريم قد شجب هذه الحادثة في سورة الاخدود المعروفة فان الكثيرين من المفكرين يعللون هذا الشجب بقولهم أن قسوة الملك الحميري بلغت ذروتها في اضطهاد المسيحيين اليمنيين دون أن يفرق بين من اجتذبت قناعته بالدين المسيحي وبين من كان يتخذ من هذا الدين وسيلة لمساندة الاحباش أو الروم للحصول على مكاسب معينة .

وعلى أية حال فقد صاحب حادثة الاخدود قيام « ذونواس » بقتل التجار الروم الذين كانوا في اليمن انتقاما من الروم الذين أساءوا في بلادهم معاملة أبناء ملته اليهود واضطهادهم من جهة ، والذين أيدوا الاحباش في هجماتهم السابقة على السواحل التهامية لليمن من جهة أخرى . ولا شك أن تخلص « ذونواس » من التجار الروم قد ألحق أضرارا فادحة بتجارة الروم وحلفائهم الاحباش لان أسواق اليمن أصبحت مغلقة في وجوههم في ذلك الحين .

وتحتفظ السريانية بثلاث وثائق عن الاضطهاد الذي اثاره « ذونواس » على نصارى بلاد حمير عام ٥٢٣ ميلادية ، على نحو ما يشير اليه « أغناطيوس يعقوب الثالث » في بحثه « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » الذي نشرته المجلة البطريركية في دمشق عام ١٩٦٦ (١٩) . فهو يؤكد أن هذه الوثائق الثلاث تعد « أوثق مصدر لمجريات هذا الاضطهاد ، اذ عالجتها ببراعة معاصرة له بمنتهى التجرد والنزاهة ، فضلا عن القائها أضواء الحقيقة على تقاليد اليهودية والدين المسيحي ، وعلى امتداد جنورها في جنوبي الجزيرة العربية في القرن السابق لقيام الرسول العربي « محمد صلى الله عليه وسلم » حيث كان كل منهما قويا متمكنا فيها ، بينما كان ظل وثنيتهما يتقلص يوما بعد يوم » .

والوثائق المشار إليها هي رسالتان وكتاب « لمار شمعون » السرياني أسقف « بيت أرشم » في بلاد الفرس ( ٥٠٣ - ٥٤٠ م ) . يضاف إليها تعقيب « لمار يوحنا الاميدي » أسقف « أفسس » ( ٥٨٧ م ) ، ومغيث ( أي نشيد كنسي ) نظمته « مار يوحنا بسلطوس » رئيس دير « قنشرين » ( ٦٠٠ م ) . ومن واقع هذه الوثائق يشير « أغناطيوس يعقوب الثالث » في بحثه الى ما يلي :

« لقد روى الذين وفدوا من نجران ، انه حالما تملك هذا اليهودي المنافق ( ويقصد به ذونواس ) كتب الى حضرموت وسبأ وحزبه ودياريدن وثيمنة ونجران وعداها من البلاد الخاضعة لسلطانه ، ليحضروا الى دياريدن . اما هو فتوجه الى ظفار عاصمة الحميريين ريثما يجتمعون ... فلما تسلموا رسائل الایمان خرجوا اليه ، وكانوا ثلاثمائة رجل مع رئيس قسوس الاحباش واسمه أبابوت ، رحب بهم اليهودي بوجه باسم ، ثم فرقهم على عظمائه ليقتل كل منهم الحبشي الذي في حوزته . وفي تلك الليلة قتل الجميع . وفي الصباح ، وجدت أشلاؤهم مكومة بعضها فوق بعض . وللحال أرسل رجالا الى مدينة ظفار وأحرق الكنيسة التي كان فيها الاحباش ، وكل من وجد ثمة من الاحباش ، وكانوا مئتي رجل . فكان عدد الاحباش الاولين والآخرين جملة خمسمئة ، ما بين اكيريكي وعلماني . وأوفد للحال صاحبه كهنة اليهود الى البلاد الخاضعة لسلطانه ، لقتل المسيحيين حيثما وجدوا ، اللهم الا اذا كفروا بالمسيح وتهودوا . وأمر بأن يحرق هو وبناته كل من يخفي مسيحيا وأن يصادر كل ماله . فقتل أولا في حضرموت القديس القسيس مار ايليا ... وتكلمت معه امه واخوها ايضا » .

وفيما يتعلق بقضية التشكيك في أن الحميريين كانوا أحباشا ، فاننا نجد « أغناطيوس يعقوب الثالث » يقول في بحثه المشار اليه في موقع آخر : ( ٢٠ ) « ارتأى بعض المؤرخين المعاصرين لنا ، أن الحميريين كانوا أحباشا ، بيد أن الوثيقة التي بين أيدينا أثبتت كونهم عربا ، ومن أبرز ما ورد فيها من هذا القبيل ثلاثة أمور . الاول : أسماء الشهداء والمؤمنين الحميريين . والثاني : لغتهم . والثالث : عدد الاحباش في بلاد حمير . فالأسماء معظمها عربية بحتة . ومنها : الشيخ الحارث بن كعب ، الملك معد كرم ، عبدالله بن ملك ، عربي بن دويل ، ملك بن معاوية من عشيرة يقبول ، موسى بن مازن ، معاوية بن احويه . والسيدات : مانتحة أمة الحارث ، حبصة ( بنت حيان ) . اما لغتهم : فهي الحميرية من اللغات السامية . ووردت فيها كلمتان بلفظهما العربي وهما وادي وخندق : فلو كان الحميريون أحباشا لكانت لغتهم أيضا حبشية » .

اما بالنسبة لاسم الملك الحميري الذي قام باضطهاد المسيحيين في حادثة الاخذود المشار إليها والذي أورده الطبري باسم « ذونواس » وهو ما أخذنا به ،

فقد أوضح « أغناطيوس يعقوب الثالث » في بحثه المذكور أن الوثيقة الثالثة جاء بها أن اسم الملك اليهودي الذي اضطهد مسيحيي نجران يدعى « مسروق » ، وأن اسم أحد قواده يدعى « ذو يزن » . كما أشار أيضا الى كتاب « مسروق » هذا الى الشريف « الحارث » ليسعى حالا بجمع كل رجال الحرب من المسيحيين الذين يعيشون في مدينة نجران وارسالهم اليه بدعوى انه على اهبة الخروج للحرب (٢١) .

ولا شك أن قضية الاسم الخاص بالملك الحميري اليهودي الذي قام باضطهاد مسيحيي نجران ، وعما اذا كان يدعى « مسروق » كما أشارت تلك الوثيقة والروايات السريانية الاخرى ، أو يدعى « دونا اس » كما ورد في قصة القديس الحارث اليونانية ، أو يقال له « ذونواس » لدى المؤرخين العرب المسلمين ، فانها قضية ما زالت موضع الدراسة والبحث ، ولا يمكننا أن نحسمها علميا الا بتوفر أدلة كافية توضح ما اذا كان « مسروق » هو « دونا اس » أو « ذونواس » أو اسما اخر لم نتوصل اليه بعد ، وهل « ذونواس » كان اسما أم كنية للعشرة التي كان ينسب اليها « مسروق » كما كان مثلا « ذو يزن » ومنه « سيف بن ذي يزن » على نحو ما سوف نشير اليه في هذا البحث .

أما فيما يتعلق بعدد الشهداء الذين راحوا ضحية هذا الاضطهاد فقد ذكر الطبري نقلا عن « ابن اسحق » أن « ذا نواس » قتل من أهل حمير وقبائل اليمن قريبا من عشرين ألف (٢٢) . غير أن هذا العدد لم يذكر في الوثائق السريانية المشار اليها . فالوثيقة الاولى روت قول المضطهد اليهودي في رسالته الى المنذر ملك الحيرة ، انه فكر قبل كل شيء في ابادنة نصارى تلك البلاد اذا لم يتهودوا مثله ، فقتلهم أولا على الحامية الحبشية وكانوا مائتين وثمانين شخصا ، وذكرت مجزرتهم التي روعت نجران ، وفتكه بجميع الاشراف النجرائين برئاسة الشيخ الحارث بن كعب ، وبكثير من الاطفال .

بينما تشير الوثيقة الثانية الى أن الاحباش الذين فتك بهم المضطهد اليهودي في مدينة ظفار كانوا خمسمائة شخص . وقالت أن اشراف نجران الذين خرجوا الى المضطهد اليهودي برئاسة الشيخ الحارث ، وقتلوا ، كانوا ألف شخص ، وأن رجال الاكليروس وغيرهم الذين ملأوا بهم كنيسة نجران وأحرقوهم معها ، بلغوا ألفين ، فضلا عن عدد آخر من اشراف وشريفات واماء نجران .

أما الوثيقة الثالثة فتشير الى مقتل خمسمائة من الاحباش ، ونحو ٧٥ من شهداء وشهيدات نجران منهم ٢٩٩ امرأة كانت كثيرات منهن تحملن اطفالهن .

ومن الملاحظ أن ما ورد في الوثيقة الثانية التي اشرنا اليها يتفق مع ما جاء في قصة الحارث التي صرحت بأن عدد الشهداء في حادثة الاخذود قد بلغ أربعة

الاف نفس ، وبذلك تكون رواية ابن اسحق التي قدرت عدد الشهداء بعشرين  
الف نفس مبالغ فيها بشكل واضح .

واذا ما تناولنا الدوافع العسكرية لغزو الاحباش لليمن عام ٥٢٥ ميلادية (٢٣)  
فينبغي أن نشير الى الاهمية البالغة التي يتميز بها ميناء عدن من النواحي الطبيعية  
والاستراتيجية فضلا عن اهميته الاقتصادية وتحكمه الكامل في مضيق باب المندب  
وفي الخليج الموصل بين البحر الاحمر والمحيط الهندي .

وعلى اية حال فقد اعد نجاشي الحبشة حملته على اليمن ، وتحركت تلك  
الحملة على ظهر اسطول بحري ضخم عبر البحر الاحمر من جانبه الغربي الى  
جانبه الشرقي . وليس لدينا ما يثبت اشتراك سفن قيصر بيزنطة في نقل جنود  
الحملة الحبشية الى اليمن حينذاك . ويرجح أن اشتراك بيزنطة كان اشتراكا  
رمزيا فحسب وقد يرجع عدم اشتراك القيصر بسفنه أو بقواته لبعد المسافة بينه  
وبين اليمن من جهة ، ولاستفادته من الدرس الذي تعلمه الرومان من حملتهم  
الفاشلة ضد اليمن عام ٢٤ ق.م. من جهة أخرى . غير أنه من المؤكد أن بيزنطة  
كانت تؤيد الاحباش بمواطنها في غزوهم لليمن بسبب الفوائد التي تعود على  
بيزنطة اذا ما تحقق هذا الفتح لصالح حلفائهم الاحباش .

اما بالنسبة لقوة الحملة الحبشية ومدى امكاناتها فليست لدينا ارقام واضحة  
أو عدد محدد لمن اشتركوا فيها . الا أن الحملة قد أعدت اعدادا كاملا بما  
يلزمها من سفن وقوات ساعدتها على تحقيق الهدف المرجو منها في الاراضي  
اليمنية . وفيما يتعلق بشخصية قائد الحملة فقد اختلف الرواة حولها ، فبعضهم  
ذكر أن اسمه « أرياط » ، وبعضهم ذكر أنه شخص آخر من أقرباء النجاشي .  
ورأي ثالث يقول أن قائد الحملة كان « أبرهة » (٢٤) . وهذا الخلاف حول اسم  
قائد الحملة أدى الى قيام خلاف آخر حول من قام بحكم اليمن بعد فتحها .

فهناك رأي يقول بأن « أرياط » كان أول من حكم اليمن من الاحباش بعد  
حملة عام ٥٢٥ ميلادية . وأن « أبرهة » قتله لاستبداده بالحكم وحل مكانه .  
ورأي يقول بأن النجاشي اعترف « بالسيفع أشوع » الحميري ملكا على اليمن  
على أن يدفع الجزية (٢٥) . غير أن الجنود الاحباش بقيادة « أبرهة » قتلوا  
« السيفع » وتولى أبرهة حكم اليمن من بعده .

اما عن المكان الذي نزلت فيه الحملة الحبشية على الساحل اليمني والمكان  
الذي اشتبك فيه « يوسف ذو نواس » معهم فليس لدينا ما يحدده تحديدا علميا .  
ومن المرجح أن تكون المعركة قد دارت رحاها على ساحل البحر الاحمر الشرقي  
في الارض اليمنية ، وأن « يوسف ذو نواس » قد قاوم الغزاة بكل قوة ، غير أن

الامر انتهى بهزيمته .

وقد تضاربت الاراء حول مصر « يوسف ذو نواس » . فالروايات العربية تقول بأنه غرق في البحر مع فرسه . والروايات النصرانية تقول بأنه قتل (٢٦) . ويؤيد هذا الراي الاخير « فون كريمير Von Kremer » (٢٧) وقد استنتج رايه من بيت شعر ينسب الى « علقمة ذي جدن » زعم انه قائله هو :

أوما سمعت بقتل حمير يوسف  
على أن « أغناطيوس يعقوب الثالث » يشير في بحثه السابق ذكره « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » أن الوثيقة الثالثة روت : « أن كالب المؤمن ملك الحبشة أنجد الكنيسة الحميرية ، فشخص بجيشه وعلى رأسه القائد ذاونس الى بلاد الحميريين برا لتدويخها ، وحاربوا الحميريين في البحر وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، منهم مسروق الطاغية الذي قتل وسقط في البحر ، فجر جثته احد الاحباش المؤمنين الى ساحل البحر ، ثم استل سيفه وحز رأسه ثم طاردوا جنوده وحصدوهم كالسنابل ... ثم اجتازوا بالمدن الحميرية كلها وتناولوها قتلا ونهباً . وأقام وعساكره في البلاد الحميرية زهاء سبعة أشهر ، بنى خلالها عدة كنائس (٢٨) » .

وتذكر الروايات العربية أن شخصاً واحداً فقط تمكن من الفرار من مذبحة الاخدود ويدعى « دوس ذو ثعلبان » ، وأن هذا الرجل قد تمكن من ابلاغ نجاشي الحبشة وامبراطور الروم « جستنيان » بهذه المذبحة . وايا كان نصيب هذه الروايات من الصحة فانه من المرجح أن يكون خبر هذه الحادثة قد وصل الى مسامع نجاشي الحبشة وامبراطور الروم عن طريق التجار الاحباش والروم الذين اوصدت منافذ اليمن في وجوههم .

وقد انتهب الامبراطور « جستنيان » امبراطور الروم هذه الفرصة وعمد الى الاستفادة منها لبيسط سلطانه على بلاد اليمن وتدعيم مركز بلاده التجاري في البحر الاحمر والمحيط الهندي . وبعث الامبراطور « جستنيان » الى نجاشي الحبشة باعتباره حليفاً لدولة الروم وراعياً لمصالحها في تلك المناطق فضلاً عن كونه راعياً للمسيحيين فيها بوجه عام ، طالبا منه التدخل لانتقاد نصارى اليمن .

واذا كان الغزو الحبشي لليمن في سنة ٥٢٥ قد أعقب حوادث اضطهاد «ذو نواس» للمسيحيين اليمنيين في نجران بحيث اعتبرت سبباً مباشراً لهذا الغزو، فقد كانت هناك أسباب أخرى متعددة دفعت الاحباش الى غزو اليمن . أما عن السبب الديني فقد تمثل في رغبة الاحباش في الانتقام لآخوانهم المسيحيين الذين اضطهدهم « ذو نواس » في اليمن ، كما تمثل أيضاً في حرص الاحباش على نشر

الدين المسيحي في تلك البلاد الغنية ، خاصة وأن بيزنطة كانت تؤيدهم في ذلك (٢٩) .

ولا شك ان العامل الاقتصادي كان من اهم الدوافع التي ادت الى غزو الاحباش لليمن . فقد هدف الاحباش من وراء غزوهم الى فتح ابواب هذه المنطقة امام التجارة الحبشية والسيطرة على تجارة اليمن ونقلها الى ايديهم . ومن جهة ثانية فان الاحباش قد رغبوا في السيطرة على الاراضي اليمنية الخصبة والغنية بالمحاصيل الزراعية . وقد وقفت بيزنطة تؤيد الحبشة في غزوها لليمن آملة من وراء ذلك اعادة التجارة البيزنطية الى منطقة نجران وسيطرتها على تجارة المحيط الهندي ، ومن ثم اغلاق الاسواق اليمنية في وجه التجارة الفارسية .

اما بالنسبة لدوافع الاحباش الساسية لغزو اليمن في ذلك الحين فانها تتبلور في ان نجاشي الحبشة كان قد رغب في تكوين امبراطورية واسعة تضم اليها اليمن . كما ان قيصر بيزنطة رغم عدم وضوح موقفه من الحملة ، الا انه كان يأمل في ايجاد جبهة سياسية من بيزنطة والحبشة واليمن ضد عدوه التقليدي كسرى فارس . ويذكر بعض المؤرخين ان « ذو نواس » قام بحملة فاشلة ضد الحبشة ، وعليه فانهم يذكرون بأن الغزو الحبشي لليمن كان رد فعل طبيعي ضد تلك الغزوة الفاشلة .

واذا تسألنا عن العوامل التي ساعدت الاحباش في غزوهم لليمن فاننا نوجزها فيما يلي :

**اولا :** ان حكومة اليمن الحميرية لم تكن تملك حينذاك اسطولا حربيا قويا يواجه الاسطول الحبشي ويرده عن الاراضي اليمنية .

**ثانيا :** لم تكن الاوضاع الداخلية في اليمن مستقرة حينذاك مما لم يتحقق معه وحدة وطنية . اذ كانت هناك عدة حروب قبلية أدت الى تفتت وانقسام القبائل وعدم تماسكها وتعاونها في رد المعتدين ، كما أدى الخلاف السياسي القائم بين « يوسف ذو نواس » وبعض القبائل اليمنية الاخرى الى عدم وقوف القبائل الى جانبه وقت المحنة .

**ثالثا :** كانت القوات الحبشية على درجة كبيرة من الاستعداد والتدريب والتسليح كما كانت مدعمة أيضا بالتأييد المعنوي البيزنطي .

**رابعا :** كانت الروح المعنوية لدى الاحباش مرتفعة للغاية خاصة بعد انتصارهم على الحملة الفاشلة التي سبق أن وجهها « ذو نواس » لغزو الحبشة (٣٠) .

وبعد أن حقق الاحباش رغبتهم بالسيطرة على اليمن في سنة ٥٢٥ فان حكم « السميع أشوع » الذي عينوه واليا تحت سيادتهم لم يدم طويلا (٣١) ، اذ بدأت ثورات اليمنيين تشتعل ضد الوجود الحبشي كما تذكر بعض الروايات أن العمال والعبيد قد ثاروا في وجه القائد الحبشي « أرياط » حين سخرهم لهدم الحصون اليمنية ومن أهمها « سلحين » و « بينون » التي ظلت طوال عهد الاحتلال الحبشي الاول معقلا للمتمردين .

وقد استغل أحد الاحباش ويدعى « أبرهة الاشرم » تلك الحالة المضطربة في اليمن وبدا يبذل جهوده للاستئثار بالسلطة في البلاد حتى انه تمكن من قتل « أرياط » وهزم جنوده وأمسك بزمام الامور في اليمن .

وعلى الرغم من أن « أبرهة » أعلن نفسه في بادئ الامر كخائب للاحباش، غير أن تبعيته لهم كانت واهية اذ أن « أبرهة » أصبح حاكما لليمن وانحصرت في يده كافة السلطات ، واتخذ من صنعاء عاصمة له (٣٢) . وكان « أبرهة » عند بداية توليه حكم اليمن يبعث الجزية لنجاشي الحبشة ويعترف له بالتبعية والولاء، غير أنه بعد أن أنس في نفسه القوة بسيطرته على اليمن بتجارته وزراعتها وكنوزها ، فقد قطع الجزية عن النجاشي وأعلن استقلاله بحكم اليمن ولقب نفسه ملكا للبلاد . ويتضح ذلك من استقبال « أبرهة » لوفود الدول ومن بينها وفد يمثل نجاشي الحبشة ذاته .

وقد حاول « أبرهة » أن يجني ثمار حكمه لليمن مما جعله يعمل على تنمية زراعتها ، ومن هنا جاء اهتمامه باصلاح سد مأرب حتى يوفر المياه اللازمة للزراعة كما أنه (٣٣) قد اتخذ عدة وسائل للقضاء على الديانة اليهودية في اليمن حتى أنه فرض عقوبة على كل مسيحي يزوج ابنته من يهودي ، وألزم اليهود بتزويج بناتهم للنصارى حتى يتمكن من ايجاد شعب موحد النظرة متجانس العقيدة . ولهذا فقد بذل جهوده أيضا لنشر المسيحية في اليمن عن طريق المبشرين ، وتم في عهده بناء عدة كنائس مثل كنيسة نجران وظفار والكائدرائية الشهيرة المعروفة باسم « القليس » في صنعاء (٣٤) ( الكليزيا باليونانية ) والتي زخرفها بالرخام والفسيفساء وطعمها بالذهب واللؤلؤ . وقد قام « جستنيان » امبراطور الروم بمساعدة « أبرهة » في بناء هذه الكائدرائية وأرسل اليه الصناع وأمدّه بالفسيفساء والرخام لبنائها (٣٥) .

ومن اهم الامور التي يجدر الاشارة اليها في هذا المجال موقف الشعب اليمني في مواجهته وتصديه للغزو الحبشي . وقد سبق أن أشرنا الى أن « يوسف ذو نواس » ومن معه من القبائل اليمنية قاوموا غزو الاحباش لليمن . غير أنه نتيجة



للاسباب التي ذكرناها آنفا انهزم « ذو نواس » ورجاله وانتهى الامر باحتلال الاحباش الغزاة للاراضي اليمنية . غير أن اليمنيين لم يستكينوا للاحتلال اذ أن المقاومة اليمنية الوطنية استمرت ضد الاحباش الاجانب .

وقد تم العثور على نقش لنص طويل كتب في عهد « أبرهة » ويتألف من (١٣٦) سطرا ويعتبر هذا النقش ثاني نقش طويل بعد نقش ( صرواح ) وهو يسجل أخبار ثورة اليمنيين ضد الاحباش الى جانب حديثه عن ترميم سد مأرب . اذ أشير في هذا النقش الى الثورة التي قام بها « يزيد بن كبشة » ضد « أبرهة » . « ويزيد » هذا كان من زعماء القبائل البارزين في اليمن أنابه « أبرهة » في حكم بعض القبائل اليمنية . وقد انضم الى هذه الثورة كثير من الاقيال منهم « سبأ » و « ذو سحر » و « مرثد » و « ذو خلين » و « حريب » و « حضرموت » و « ذو يزن » ومن القبيلة الاخرى يأتي « سيف بن ذي يزن » . وفي هذا النقش الطويل ذكر « أبرهة » أنه قام بترميم سد مأرب مرتين في عامي ٥٤٢ ، ٥٤٣ ميلادية ، وقد اشترك في عمليتي الترميم هذه جموع من أبناء العشائر اليمنية والجنود الاحباش . وقد دون « أبرهة » في نهاية النص ما أنفقه على ترميم السد من اموال ، وما قدمه الى العمال والجنود الذين اشتركوا في العمل من سبل الاعاشة حتى أتموا مهمتهم (٣٦) .

ويوضح هذا النقش أن « يزيد بن كبشة » قد استعان ببعض القبائل اليمنية لطرد الاحباش من اليمن ، وكان يأمل في قيام القبائل اليمنية الاخرى بالوقوف الى جواره صفا واحدا عندما تندلع الشرارة الاولى للثورة . غير أن القبائل اليمنية كانت تعاني من الانقسامات والفرقة بين صفوفها مما جعلها تعجز عن مساندة تلك الثورة وربما لم يقم « يزيد » بجهد كاف للاتصال بزعماء القبائل وحثهم على الانضمام الى بقية القبائل الثائرة معه . وقد أشارت بعض الروايات الى أن « معد كرب بن السميغ أشوع » قد وقف الى جانب « يزيد بن كبشة » في ثورته ضد الاحباش .

على أن « أبرهة » سارع من جانبه لمواجهة هذه الثورة قبل أن يستفحل أمرها ، وقام بارسال جيش بقيادة أحد أنصاره ويدعى « جراح ذو زينور » . غير أن « يزيد » تمكن من هزيمته ، وبدأ « يزيد » بعد ذلك في مهاجمة المناطق الموالية « لابرهة » . وهنا قرر « أبرهة » أن يعالج الموقف بسرعة فأرسل جيشا كبيرا لمواجهة « يزيد » والقبائل اليمنية الثائرة وذلك في سنة ٥٤٢ ميلادية مما اضطر « يزيد » الى الاستسلام بعد أن تبين له عدم مقدرته على مواجهة هذه القوات الحشوية التي لا قبل له بها .

على أن ثورة اليمنيين ضد الاحباش لم تنته باستسلام « يزيد بن كبشة » ،

فقد بقيت الثورات المحلية القبلية قائمة ضد الحكم الاجنبي رغم محاولات « أبرهة » للقضاء عليها . ويمكننا القول بأن الثورات المحلية غير المنظمة قد ازدادت اشتعالا وخاصة بعد الحملة الفاشلة التي وجهها « أبرهة » لغزو الحجاز .

وهنا تجدر الإشارة الى أن الحملة التي وجهها « أبرهة » لغزو الحجاز لهدم الكعبة الشريفة في مكة في سنة ٥٧٠ ميلادية (٣٧) . وتذكر الروايات أن سبب هذه الحملة يرجع الى أن اثنين من عرب الحجاز أهانا كنيسة أبرهة في صنعاء بوضع جيفة فيها (٣٨) . وقد أراد « أبرهة » أن ينتقم لهذه الاهانة الدينية بتدمير الكعبة ، ومن ثم اعلاء مكانة كنيسة « القليس » عن طريق اكراه الناس بالحج اليها (٣٩) . وربما هدف « أبرهة » الى نشر المسيحية في الحجاز بصورة واسعة بعد أن يقوم بهدم الكعبة .

على أنه يرجح أن « أبرهة » هدف من غزو الحجاز الى بسط سيادة الاحباش وبالتالي سيادة الروم على الحجاز باعتبارها أهم شريان للتجارة بين الشرق والغرب حينذاك . كما هدف أيضا الى فتح الطريق الى بلاد اليمن أمام التجار الروم للسيطرة على مكة ذات المركز التجاري الكبير . وأيا كان سبب هذه الحملة وغرضها فقد فشلت فشلا ذريعا وعاد « أبرهة » الى اليمن يجر أذيال الخيبة في سنة ٥٧١ ميلادية التي عرفت بعام الفيل . واعتبرت هذه الحادثة نقطة تحول في تاريخ بلاد العرب كلها بوجه عام وفي تاريخ اليمن على وجه الخصوص . اذ ارتد نفوذ الروم الى بلاد اليمن وبقيت الحجاز أرضا خالية من أية قوة سياسية مما مهد السبيل لانتشار الاسلام فيما بعد . كما ولد في هذا العام نبي الاسلام محمد ابن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه .

وجدير بالذكر أن فشل « أبرهة » في غزو الحجاز كان نكسة لاهداف الروم الذين كانوا يتطلعون من وراء هذه الغزوة الى ابعاد تطلعات الفرس عن اليمن وعن الجزيرة العربية . وبالمقابل كان الفرس ينهجون نفس هذا الموقف العدائي من الروم . وبتحريض من الروم قام أبرهة بغزو الحجاز ولكنه فشل في مسعاه . ولو تحققت اهدافه لاصبح غزب الجزيرة العربية كلها تحت النفوذ الروماني الحبشي ولربطت اليمن ببلاد الشام ، وبذلك كان يمكن أن يحقق الاحباش وحلفاؤهم الروم نصرا سياسيا واقتصاديا هائلا ضد فارس التي كانت تتحكم اقتصاديا في التجارة الشرقية في ذلك الحين .

وهناك تساؤل عن الاسباب التي أدت الى فشل « أبرهة » في غزو الحجاز رغم قوة الحملة التي اعددها لهذا الغرض من جهة ورغم التأييد المعنوي الذي كان يحظى به من قبل دولة الروم حينذاك من جهة أخرى ، بل أن هذا الجيش

لم يواجه بمقاومة فعلية من قبل عرب الحجاز أو أهالي مكة الذين كان على رأسهم عبد المطلب جد النبي محمد عليه صلوات الله وسلامه الذي توجه لمقابلة « أبرهة » من أجل استعادة بعيره « أما البيت فله رب يحبيه » كما تبلفنا روايات الاخباريين . كما وردت بالقرآن الكريم سورة الفيل التي تحكي ما حدث لجيش « أبرهة » . وهنا يدور نقاش علمي حول الاسانيد المادية لما ورد في هذه السورة . ويصل هذا النقاش الى أن جيش « أبرهة » قد ضلله الادلاء العرب في الطريق الى الحجاز وساقوه الى نجد حيث عانى الامرين في السير مسافات شاسعة بين دروبها . وقد تعرض هذا الجيش لوباء الجدري الذي ينتقل بالعدوى عن طريق فيروسات تقتحم الخلايا بالاجسام وتدمرها ، فتصبح الاجسام بعد أن تقتيح تها « كعصف مأكول » (٤٠) ويرجع بعض خبراء منظمة الصحة العالمية بداية وصول وباء الجدري الى اليمن الى تاريخ حملة أبرهة حيث دخل الوباء الى البلاد مع حلول القوات المريضة العائدة . حتى أن أبرهة نفسه قد توفي متأثرا بوباء الجدري وأن اختلقت الروايات حول وفاته وهو في طريقه الى اليمن أو عقب عودته اليها خائباً مدحوراً .

أما عن الاوضاع في اليمن في الفترة التي أعقبت وفاة « أبرهة » فإنه على الرغم من عدم توفر مصادر وثائقية توضح طبيعتها وخاصة في عهد خلفاء « أبرهة » الضعاف ، غير أنه من المنطقي أن تظل الثورات المحلية قائمة كما أن أوارها كان يزداد اشتعالا بطبيعة الحال وذلك في عهد ولديه « يكسوم ومسروق » ، اللذين كان حكمهما ينحدر في طريق الانهيار التام .

وهناك رأي يقول بأن التقليد الذي كان يتبعه الاحباش منذ احتلالهم الاول لليمن أن يجعلوا على الاصقاع اليمنية ملكا سوريا من متنصري اليمن من الاقيال . ويبدو أن « أبرهة » الطموح ألغى هذا النوع من التقليد ، وجعل الملك محصورا في عائلته وذويه . وقد أثار بتصرفه هذا حقد بعض الاقيال الذين كانوا يرون في أنفسهم ورثة شرعيين لحكم جزء من اليمن تحت حراب الاحباش . ومن هنا لجأ واحد منهم وتسميه بعض الروايات العربية « بسيف بن ذي يزن » الى امبراطور بيزنطة يطالبه ببذل جهوده مع أحلافه الاحباش لاعادة النظام القديم غير أن امبراطور بيزنطة يصرفه صرفا جميلا حتى لا يعوق مصالح حلفائه الاحباش في بلاد اليمن . ومن هنا يلتجئ « سيف » الى امبراطور فارس العدو الطبيعي لبيزنطة فينجد هذا بجيش يستطيع به سيف أن يعود عام ٥٦٨ حاكما سوريا على رقعة من اليمن تحرسه حراب أسياده الجدد الذين أطلق عليهم المؤرخون العرب لفظة ( الابناء ) ، لكن هذه الحراب — كما تذهب الروايات العربية لم تنقذه من انتقام الاحباش فخر صريعا بأيدي عبيده من أبناء الحبشة . ويقتله — كما يقول ابن خلدون — آل ملك العرب وسلطان حمير الى الفرس « بعد أن كانوا يزاومونهم بالمناكب في عراقهم ، ولم يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل الا اقيال من حمير

وقحطان رؤساء في أحيائهم بالبدو ولا تعرف لهم طاعة ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم أمر » (٤١) .

وهذه رواية من الروايات الكثيرة المتضاربة حول هذا الموضوع . على أنه يمكننا القول أنه في وسط هذه الاوضاع غير المستقرة في بلاد اليمن ظهرت من بين رجالات القبائل اليمنية الثائرة شخصية « سيف بن ذي يزن » وهو واحد من سلالة ملوك حمير (٤٢) وقد تم على يديه - بمساعدة الفرس - طرد الاحباش من اليمن وتحريرها من حكمهم في سنة ٥٧٦ ميلادية (٤٣) واعادة الحكم الى الحميريين في بداية الامر حتى استأثر الفرس نهائيا بحكم اليمن . وواضح أن روايات الاخباريين العرب حول الدور الذي قام به « سيف بن ذي يزن » لتحرير بلاده هو أشبه بالدراما الاسطورية . فهناك روايات تشير الى أن « سيف بن ذي يزن » ذهب الى قيصر الروم وطلب منه العون لطرد الاحباش من اليمن وأن القيصر لم يجبه الى طلبه .

غير اننا نرى أن هذه الرواية لا تسائر المنطق نظرا لانه من غير المعقول أن يكون « سيف بن ذي يزن » وهو من سلالة ملوك « حمير » لا يعرف مدى الصلة القوية التي تربط الاحباش بالروم الذين يشتركون معهم في العقيدة ، كما كان القيصر يعتبر الاحباش في اليمن وكلاء يحافظون على مصالح دولته الاقتصادية في بلاد الشرق . ولا شك أن « سيف بن ذي يزن » كان يخشى أيضا مجيء القوات البيزنطية الى اليمن ، اذ ما هي الفائدة التي كان سيجنيها اذا ما بدل احتلال الاحباش باحتلال الروم . ومن هنا فائنا نرجع استحالة ذهاب سيف بن ذي يزن الى قيصر الروم طالبا النجدة التي لم يكن بطبيعة الحال يتوقع مجيئها الى بلاده لطرد الاحباش مع وجود كل هذه الاعتبارات والصلات المختلفة بين الجانبين الحبشي والبيزنطي .

ومن ناحية أخرى فقد اشارت روايات الاخباريين العرب أيضا الى أن « سيف بن ذي يزن » ذهب الى ملك الحيرة « النعمان بن المنذر بن ماء السماء » وكانت الحيرة موالية للفرس ، وطلب منه أن يقدمه الى كسرى فارس « خسرو أنوشيروان » في عاصمته « المدائن » وهو الذي حكم فارس بين الفترة الممتدة بين عامي ٥٣١ - ٥٧٨ ميلادية (٤٤) . ويرجح بعض المفكرين أن « سيف بن ذي يزن » عندما غادر اليمن لطلب العون ، لم يكن يهدف الى طلبه من الروم أو من الفرس ، وانما أراد من أبناء وطنه من المهاجرين اليمنيين الذي كانوا في ذلك الحين قد كونوا امارتين عربيتين على حدود الدولتين الكبيرتين ، وكان ارتباطهم بهاتين الدولتين وراء رحلة سيف الى عاصمتي « بيزنطة » و « فارس » .

وعلى أية حال فإن الحبكات الاسطورية تشمتد وتعنف حيث تذكر الروايات أن كسرى فارس منح الدراهم « سيف بن ذي يزن » عند مقابلته له .... وأن « سيف » أخذ يوزع تلك الدراهم على خدمه . فاعتبر « كسرى » هذا العمل من قبل « سيف » اهانة موجهة لهيبته ، فاستدعى « سيف » وسأله عن سبب قيامه بتوزيع الدراهم التي اعطاها اياها : فأجابه « سيف » بأنه لم يأت طلبا للمال ، فبلاده غنية بالذهب والفضة ، وإنما سعى لطرد الاحباش الاجانب من بلاده . وهنا وافق كسرى فارس على طلب « سيف » وأرسل معه ثمانين سفن وحملها بثمانمائة من المهاجرين الفرس وبعض الجنود وعلى رأسهم القائد الفارسي « وهرز » . وفي الطريق الى اليمن غرقت سفينتان بمائتين من ركبها ، بينما وصلت السفن الباقية الى السواحل اليمنية (٤٥) . وتنتهي هذه الروايات الى أن « وهرز » الفارسي تمكن من قتل « مسروق » الحبشي ، وبذلك انهار حكم الاحباش في اليمن وغروا منه عائدين الى بلادهم .

على اننا يمكننا أن نستخلص من هذه الروايات الاسطورية التي أوردها الاخباريون العرب — بعض الحقائق وأهمها أن « سيف بن ذي يزن » قد استعان بالفرس لطرد الاحباش من اليمن نظرا لان الاحباش كانوا الحلفاء المخلصين لعدوتهم بيزنطة في ذلك الحين . وواضح أيضا أن المعونة الفارسية كانت محدودة، غير انها كانت مؤثرة نظرا لان بورات القبائل اليمنية المستمرة كانت تفت في عضد الاحباش وتقلص من نفوذهم .

واننا نرجح أن استعانة « سيف » بالفرس تلك الاستعانة المحدودة كان يهدف من ورائها الى جمع شمل القبائل اليمنية الثائرة وتوحيد نضالها ضد العدو الحبشي الاجنبي . ولا شك أن القبائل اليمنية الاخرى والتي كانت بعيدة عن مسرح الاحداث حتى ذلك الحين وقفت الى جانب الثورة الوطنية عندما حظيت بدعم جديد من قبل الفرس لطرد الاحباش من اليمن . ولا يخفى أيضا أن مجيء القوات الفارسية الى اليمن قد رفع الروح المعنوية لدى رجال القبائل وزاد من ثورتهم اشتعالا ، كما أن ذلك قد أثر من ناحية أخرى في احباط الروح المعنوية للاحباش مما اضطرهم الى الفرار ناجين بأنفسهم .

ويرجح أن قبول « سيف بن ذي يزن » الاستعانة بقوات فارسية محدودة لمساندة القبائل اليمنية الثائرة واجتذاب القبائل اليمنية المتحفظة والبعيدة نسبيا عن مسرح الاحداث للوقوف في وجه الاحباش وطردهم من البلاد ، كان ذلك معبرا عن خشيته من مجيء قوات فارسية كبيرة تطمع في بلاده ، ومن ثم تقع اليمن تحت الاحتلال الاجنبي الفارسي بدلا من الاحتلال الاجنبي الحبشي ، الامر الذي كان يتحاشى « سيف » حدوثه بقدر طاقته (٤٦) .

ومن ناحية أخرى فانه مما لا شك فيه ان كسرى فارس « خسرو أنو شيروان » لم يقدم المعونة جزافا « لسيف بن ذي يزن » اكراما لشجاعته واعجابا لجراته كما تقول بعض الروايات التي أوردها الاخباريون (٤٧) ، بل انه قام بذلك لصالح الامبراطورية الفارسية وحتى يضرب المصالح التجارية والنفسوذ البيزنطي في اليمن بطبيعة الحال . وبذلك يعيد فتح اليمن في وجه التجارة الفارسية املا في الحصول على مكاسب مادية من وراء الفتح كفرض جزية او اكتساب غنيمة . وهكذا وجدت فارس في طلب « سيف بن ذي يزن » مؤازرة اليمنيين ضد الاحباش وسيلة للتوسع في بلاد العرب . ومن ثم فان بادية الشام في الشمال وان حالت دون توسع القوى الكبرى في تلك الفترة من تاريخ شبه الجزيرة العربية ، فقد أصبحت أرض الجنوب مدخلا لتلك الدول توصلها الى قلب جزيرة العرب (٤٨) .

ويقع الكثيرون في خطأ فاحش عندما يتصورون ان الفرس هم الذين قاموا وحدهم بطرد الاحباش من اليمن ، اذ ان المنطق لا يقبل اطلاقا ان يتمكن عدد محدود من رجال الفرس لا يتجاوز ستمائة مقاتل من القيام بتلك المهمة بأي حال من الاحوال . وان من يعتقدون في ذلك يتجاهلون الدور الكبير الذي لعبه رجال القبائل اليمنية الثائرة في طرد الاحباش من بلادهم .

ويمكننا ان نبرز تلك الحقيقة التاريخية وهي ان الثورة الوطنية التي قامت بها القبائل اليمنية ضد الاحباش هي التي لعبت الدور الاساسي والحاسم في تحرير اليمن من الحكم الحبشي الدخيل . وكل ما يمكن ان تكون قد فعلته تلك القوة الفارسية المحدودة هي انها اشعرت الاحباش بأن القبائل اليمنية سوف تتلقى دعما من الامبراطورية الفارسية المنافسة لبيزنطة والمعادية بطبيعة الحال للوجود الحبشي في اليمن الذي بدت خطورته بوجه خاص بعد ان شرع « أبرهة » في السيطرة على الحجاز وبقية الجزيرة العربية .

ولا شك ان هذا الدعم المحدود من قبل الفرس « لسيف بن ذي يزن » قد القى الرعب في قلوب الاحباش خاصة وانهم توقعوا وصول قوات فارسية أخرى مما جعلهم يفكرون في سرعة العودة الى بلادهم . ومن ناحية أخرى كان هذا الدعم الفارسي من شأنه ان شجع القبائل اليمنية المتحفظة للاشتراك مع القبائل الثائرة التي توقعت ان ترجح كفتها على كفة الاحباش اذا ما حملوا عليهم جميعا حملة شاملة وهو ما حدث بالفعل .

ومن هنا فانه بمجرد وصول « سيف بن ذي يزن » ومن معه من الفرس الى اليمن في سنة ٥٧٥ ميلادية فقد التفت من حوله قبائل اليمن وثوارها وزعماءها وتمكنوا من تفتيت الجيش الحبشي والقضاء على معظم رجاله وطرد اعداد كبيرة

منهم الى خارج البلاد . اما من بقي منهم في اليمن فقد أصبحوا خدما لدى زعماء القبائل اليمنية (٤٩) . وهكذا تخلص اليمنيون من الحكم الحبشي الدخيل ، وانتهت بذلك حقبة مظلمة من تاريخ اليمن القديم (٥٠) .

وقد تردد صدى هذا النصر في سائر أنحاء بلاد العرب وجاءت وفود من شتى أرجاء الجزيرة لتهنئة « سيف بن ذي يزن » والشعب اليمني بهذا النصر ، وتذكر بعض الروايات أن وفد مكة كان يرأسه عبد المطلب ابن هاشم شيخ قريش وجد نبي الاسلام محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه .

ويراودنا الآن تساؤل عن طبيعة الاوضاع التي أعقبت طرد الاحباش من اليمن وعن موقف « سيف بن ذي يزن » ازاء القوة الفارسية التي صاحبتة الى الاراضي اليمنية وعن مدى علاقته من الامبراطورية الفارسية التي أمدته بهذا الدعم . لقد أقام الفرس الى جانب « سيف بن ذي يزن » حاكما فارسيا من قبلهم يجمع الجزية ويراقب أحوال البلاد . وكان « سيف » قد وافق على دفع جزية لكسرى فارس عرفانا بجميله ، ويرجح أن « سيف » كان يفكر في إنهاء دفع تلك الجزية بعد استقرار الاوضاع في اليمن ، غير أن الوقت لم يسعفه لتحقيق ذلك ، كما أن الظروف تطورت لصالح الفرس عقب مقتل « سيف بن ذي يزن » بأيدي خدمه الاحباش (٥١) في بعض الاراء ، ويتأمر الفرس عليه في آراء أخرى (٥٢) .

وقد خشي كسرى فارس على جزيته من الضياع عقب مقتل « سيف بن ذي يزن » وما نتج عن ذلك من اضطراب الاحوال في اليمن ، كما خشي أيضا من أن يعود الاحباش الى الاراضي اليمنية أو أن تقوم الامبراطورية البيزنطية بالتعاون مع الحبشة للاستيلاء على اليمن . ولهذا قام كسرى فارس بارسال أربعة الاف مقاتل فارسي تمكنوا من تحويل اليمن الى ولاية فارسية .

وقد تولى ولاية اليمن من قبل فارس القائد الفارسي « وهرز » وخلفه في حكم البلاد ولده « المرزبان » ثم تولى الحكم في اليمن من بعده « البينجان بن وهرز » الذي خلفه ابنه « خسرو بن البينجان » في حكم البلاد (٥٣) . وأخيرا تولى حكم اليمن الوالي الفارسي « باذان » الذي اعتنق الاسلام في سنة ٦٢٨ ميلادية ، فأصبحت اليمن بذلك جزءا من الدولة الاسلامية الفتية ، وانفصلت نهائيا عن حكم فارس منذ ذلك الحين .

وقد سيطر الفرس على صنعاء واتخذوها عاصمة لهم (٥٤) ، كما امتد حكمهم الى عدن التي كانت تعتبر أهم مركز تجاري في اليمن . ونظرا لعدم توفر مصادر علمية توضح لنا حدود المنطقة اليمنية التي خضعت لحكم الفرس أو « الابناء » كما سماهم بعض المؤرخين العرب فانه يتعذر علينا التكهن بذلك دون

سند علمي . وسوف اكتفي في هذا المجال بما ذكره الاستاذ الدكتور جعفر ظفاري في مقاله الذي سبق أن نوهت اليه وجاء فيه : « وإذا ضن ما توافر لدينا من مصادر بحقائق قد تساعدنا على تتبع مناطق نفوذ الحكم الفارسي في اليمن ، فاني أجـد نفسي ميالا الى القول بأن الإبناء حكبوا انصاف رقعة معينة من أرض التهائم منها على ما أظن ، وادي الحشيب الذي اختطت في مدينة زبيد عام ٢٠٣ لتصبح قاعدة الحكم لاشهر الدول اليمنية حتى زوال الدولة الطاهرية في النصف الاول من القرن العاشر الهجري . وقد حملني هذا الرأي ما أخاله المسلك الطبيعي لقوافل التجارة ( عدن — الجند — صنعاء — وعدن — حباشة — الجند — صنعاء ) فضلا عما يورده الخزرجي ( ت ٨١٢ هـ — ١٤٠٩ م ) من اشارات متكررة الى تواجد الفرس في بعض المناطق التهامية وخاصة مرتفعات زبيد ، وتمردهم أكثر من مرة على السلطة الممثلة آنذاك بالدولة الرسولية ( ٦٢٥ — ٨٥٠ هـ و ١٢٢٨ — ١٤١٦ هـ ) . »

ويرى بعض الباحثين أن الديانتين اليهودية والمسيحية كانتا بمثابة أيديولوجيتين جديدتين اعتنقهما اليمنيون بعد أن تعرضت العقائد الوثنية القديمة في اليمن لازمات منتتالية نتيجة لتفسخ الأوضاع المادية المرتبطة بهذه العقائد والقائمة على ركامها ، بحيث لم يعد بمقدور هذه الأوضاع القديمة مواكبة الحياة الجديدة أو الاستجابة لمطالبها وتطلعاتها . وعندما وصل الاسلام الى الساحلة اليمنية في سنة ٦٢٨ ميلادية لم يعد موجودا في اليمن من الثقافة القديمة ما هو جدير بالبقاء أو الاستمرار في ظل الحياة والقيم الجديدة المتكاملة التي أتى بها الاسلام (٥٥) بكل محتواه التقدمي في هذا العصر المبكر .

ومن الملاحظ أن معالم كثيرة من ايجابيات ثقافة اليمن القديم وحضارته العريقة قد عايشت الحياة الجديدة التي ادخلها الاسلام الى اليمن لأنها لم تتعارض معها (٥٦) مما يؤكد وجود ايجابيات كثيرة في ثقافة اليمنيين القديمة تواكبت مع التطور الجديد . ولا شك أن هذه الايجابيات قد شكلت رصيـدا طيبا في خبرات اليمنيين وتجاربهم اهلتهم لان يقدموا مساهمة مشهودة في تطوير الحياة الجديدة في ظل الاسلام سواء في بلادهم أو في المناطق التي انتقلوا اليها في أرجاء العالم العربي والاسلامي (٥٧) .





## الهوامش

- ١ — محمد عبد القادر بانقيه . تاريخ اليمن القديم . ص ٨٢ .  
Strabo. The Geography of Strabo. IV, pp. 22-25.
- ٢ —
- ٣ — Lesquier. L'Armee Romaine d' Egypte. p. 9.
- ٤ — Cambridge Ancient History, X 1934 Anderson, p. 250.
- ٥ — Pliny. Natural History, II. p. 467.
- ٦ — د. محمد بيومي مهران . دراسات في تاريخ العرب القديم . ص ٢٩٦ .  
Jamme, A. Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilgis (Marib). pp. 317, 319.
- ٧ —
- ٨ — محمد عبد القادر بانقيه . المرجع السابق . ص ٨٤ — ٨٥ .  
Strabo, III. Op. Cit. pp. 189, 190, 213.
- ٩ —
- ١٠ — جورج نضلو حوراني . العرب والملاحه في المحيط الهندي . ص ٢٢ .
- ١١ — أحمد فضل المبدلي . هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن . ص ١٧ .  
Cambridge Ancient History. XII 1939, pp. 9, 16.
- ١٢ —
- ١٣ — Charlesworth, M.P. "The Periplus" Maris Erythrael, Class, Quart. 22. pp. 92, 100.
- ١٤ — انظر البحث الذي اقامه الاستاذ « دريفز » استاذ اللغات السامية الهولندي في ندوة الحضارة اليمنية التي عقدت في عدن في الفترة من ٢٢ — ٢٧ فبراير ١٩٧٥ بعنوان « نقوش سبئية من الحبشة » والمحفوظ بالمركز اليمني للابحاث الثقافية بعدن . فقد أشار في هذا البحث الى انه توجد وثائق تبين أن السبئيين أتأموا بالفعل في الحبشة وأنه كان هناك تأثير ثقافي قوي للسبئيين خلال فترة نورخها الان بوقوعها بين عامي ٤٥٠ و ٣٠٠ قبل الميلاد . وقد تركت اللغة السبئية اثارا واضحة في لغة الحبشة القديمة على نحو ما اكده « دريفز » في بحثه المشار اليه .
- ١٥ — انظر البحث الذي كتبه الاستاذ الدكتور جعفر ظفاري بعنوان « دراسات في المجتمع اليمني القديم » ( عقدة اللون الاسود ومسألة الوجود الفارسي في اليمن بعد الاسلام ) والمنشور بعدد مارس ١٩٧٤ بمجلة الثقافة الجديدة التي تصدر بعدن . وقد أشار في هوامش هذا البحث الى أهمية الرجوع الى الفضول المستفيضة التي كتبها المؤرخ الاستاذ الدكتور جواد علي في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » فيما يخص الصراع الدولي على مجاري التجارة ومحاوله أباطرة الرومان تطويق الجزيرة برا وبحرا ، وتحريض الاحباش لاحتلال جنوب الجزيرة .
- ١٦ — « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » المجلة البطريركية ، دمشق ١٩٦٦ ، لاغناطيوس يعقوب الثالث ، ص ٢٤ .
- ١٧ — الطبري . تاريخ الرسل والملوك . الجزء الثاني ، ص ١٢١ .
- ١٨ — ابن الاثير . الكامل في التاريخ . الجزء الاول ، ص ٤٣٠ — ٤٣٢ .
- ١٩ — المجلة البطريركية . المرجع السابق . ص ٢٤ .
- ٢٠ — المجلة البطريركية . نفس المرجع ، ص ٨٩ .
- ٢١ — المجلة البطريركية . نفس المرجع ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
- ٢٢ — الطبري . المرجع السابق . الجزء الثاني ، ص ١٠٥ .

- ياقوت الحموي . معجم البلدان . المجلد ٨ ، ص ٢٦٢ .
- ٢٣ — جواد علي . تاريخ العرب قبل الإسلام . الجزء الثالث ، ص ٤٧٥ .
- ٢٤ — الطبري . المرجع السابق . الجزء الثاني ، ص ١٢٧ .
- ٢٥ — د. جواد علي . المرجع السابق . الجزء الثالث ، ص ٤٦٠ .
- ٢٦ — عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب . ص ٥١ .  
Von Kremer. Sudarabische Sage. pp. 22, 127.
- ٢٧ —
- ٢٨ — المجلة البطريركية . المصدر السابق ، ص ١١٧ .
- ٢٩ — عبد المجيد عابدين . المرجع السابق . ص ٤٥ .
- ٣٠ — محمد ميد الكريم عكاشة . « مقاومة الغزو الحبشي لليمن » ، مجلة الثقافة الجديدة . عدن ، العدد الخامس ، لسنة ١٩٧١م ، ونقلا عن مجلة الشرارة التربوية ، بالكلأ .
- ٣١ — د. جواد علي . المرجع السابق . ص ٤٧٢ .
- ٣٢ — د. جواد علي . نفس المرجع . ص ٢٧٥ .
- ٣٣ — محمد عبد القادر بانقيه . المرجع السابق . ص ١٦٧ — ١٧١ ، راجع ترجمة النقوش التي أوردها المؤلف .
- ٣٤ — ابن خلدون . العبر وديوان المبتدا والخبر . المجلد الثاني ، ص ١١٥ .
- ٣٥ — الهمداني . الاكلیل . الجزء الثاني ، ص ٨٧ .
- الطبري . المرجع السابق . الجزء الثاني ، ص ١٣٠ .
- ٣٦ — محمد عبد القادر بانقيه . المرجع السابق . ص ١٦٨ .
- ٣٧ — د. جواد علي . المرجع السابق . الجزء الثالث ، ص ٤٩٥ .
- ٣٨ — ابن الاثير . المرجع السابق . الجزء الاول ، ص ٤٤٢ .
- ٣٩ — الطبري . المرجع السابق . الجزء الثاني ، ص ١٣٠ — ١٣١ .
- ٤٠ — انظر تفسير جزء عم من القرآن الكريم ( سورة الفيل ) للشيخ محمد عبده .
- ٤١ — ابن خلدون . المرجع السابق . المجلد الثاني ، ص ١٢٥ .
- ٤٢ — يذكر الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه « بين الحبشة والعرب » « وكان سيف بن ذي يزن ممن لعبوا ادوارا هامة في هذه الامة ، وهو رجل من اذواء حمير من اسرة عريقة في اليمن سمعنا عن بعض افرادها منذ عهد ذي نواس وابرهة ، وكان للأسرة اتجاه سياسي واحد هو التمسك باستقلال اليمن وانفصالها عن السلطان الاجنبي » .
- ٤٣ — يشير الاستاذ فاروق خورشيد في كتابه « أضواء على السيرة الشعبية » الى أن الاجباش قد طردوا « نهائيا من بلاد اليمن على يد الملك اليمني الحميري سيف بن ذي يزن في رواية اسحاق أو معدى كرب بن ذي يزن في رواية الكلبي » .
- ٤٤ — ابن الاثير . المرجع السابق . الجزء الاول ، ص ٤٣٣ .
- ٤٥ — الطبري . المرجع السابق . الجزء الثاني ، ص ١٣٠ .
- ٤٦ — جاء في قصيدة للشاعر اليمني الدكتور محمد عبده غاثم بعض الابيات التي تجدد دور سيف بن ذي يزن :

فالنصر من حق الضعيف اذا غدا  
قد آن أن يحمي حماها سيد  
يس سيف ذي وزن قد ابلت في  
متسلحا بالصبر والايمان  
من حمير الفراء أو كهلان  
طلب الخلاص لهذه الاوطان

٤٧ — ابن الاثير . المرجع السابق . الجزء الاول ، ص ٤٤٨ .

الطبري . المرجع السابق . الجزء الثاني ، ص ١٤٣ .

Hitti, P.K. History of the Arabs. p. 66.

— ٤٨

٤٩ — د. جواد علي . المرجع السابق . الجزء الثالث ، ص ٥٢١ — ٥٢٣ .

٥٠ — يشير د. عبد العزيز المقالح الى قضية تقييم شخصية « سيف بن ذي يزن » بقوله « انه قد اخطأ في الاستعانة الخارجية ، او تهادى في الانتقام من خصوم بلاده او اسرفت كتب التاريخ في تضخيم دوره بهذه قضايا قابلة للحوار ، واثارتها من حين لآخر يعتبر واجبا وطنيا على المثقفين ان يقوموا به من اجل الوطن والانسان ، ومن اجل الحاضر والتاريخ » انظر عدد يوليو ، اغسطس ١٩٧٥م من مجلة الثقافة الجديدة التي تصدر بعمد .

٥١ — الطبري . المرجع السابق . الجزء الاول ، ص ١٤٨ .

٥٢ — محمد عبد القادر باقرية . تاريخ اليمن القديم . ص ١٧١ — ١٧٢ اشار المؤلف الى ان الروايات تختلف في سيرة سيف بن ذي يزن وفي بواعث ثورته وما جرى له بعد ان تمت هزيمته للاحباش . وقد اخلطت الحقيقة بالاسطورة في حياة ذلك البطل الوطني . وفيما يتعلق بالحرب فان الروايات تتلخص في ان « سيفا » قصد الروم بادى الامر لينصروه على الاحباش فلما خاب امله فيهجم لجا الى الفرس فأمده كسرى بقوة تحت قيادة « وهرز » حملتها السفن ونزلت لساحل حضرموت في موضع يدعى « منوب » . ثم زحفت من هناك الى ان التقى الجيشان وقتل « مسروق » وتشنت الاحباش فأنبت الفرس « سيفا » ملكا على اليمن وفرضوا عليه جزية وخراجا معلوما يؤديه كل عام . وقتل « وهرز » عائدا الى كسرى . ولكن من بقي من الاحباش في اليمن — كما تقول الروايات — وثبوا على « سيف » وقتلوه غيلة . ولما بلغت الاخبار كسرى بعث « وهرز » على رأس قوة فارسية جديدة قضت على التمرد الحبشي وبقيت اليمن بعد ذلك في قبضة الفرس يحكمها ولاة منهم حتى مجيء الاسلام . وكان اخرهم هو « باذان » الذي أسلم واقره الرسول عملا على اليمن تحت راية الاسلام .

٥٣ — الطبري . المرجع السابق . الجزء الاول ، ص ١٤٨ .

Gibbon, E. The Decline and Fall of the Roman Empire. p. 216.

— ٥٤

٥٥ — سلطان ناجي . محاضرات في تاريخ اليمن القديم . ص ٤٦ .

٥٦ — انظر البحث الذي القاه الاستاذ الدكتور محمود الغول في ندوة الحضارة اليمنية التي عقدت بعمد في فبراير ١٩٧٥م بعنوان « مكانة لخم وقوش اليمن القديمة في تراث اللغة العربية النصحى » .

٥٧ — انظر البحث الذي القاه الاستاذ الدكتور هاشم جمعي في ندوة الحضارة اليمنية التي عقدت بعمد في فبراير ١٩٧٥م بعنوان « دور اليمنيين في التاريخ الاسلامي » وانظر كذلك البحث الذي القاه الاستاذ ميخائيل بترفوسكي الباحث في معهد الاستشراق بليبنجراد في الندوة المذكورة بعنوان « التراث اليمني القديم في الحضارة الاسلامية » ، وجبجبع بحوث هذه الندوة محفوظة بالمركز اليمني للابحاث الثقافية بعمد .

## المراجع

### أولا : مراجع البحث باللغة العربية

#### ١ - المؤلفات المنشورة

- ابن الاثير ( عز الدين أبو الحسن علي الشيباني ) . **الكامل في التاريخ** . الجزء الاول ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ) . **كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر** . المجلد الثاني ، بيروت ، ١٩٥٦ .
- الهمداني ( أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ) . **الاكلیل** . الجزء الثاني ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- د. أحمد فخري . **دراسات في تاريخ الشرق القديم** . الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- أحمد فضل المبدلي . **هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن** . المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .
- د. جواد علي . **المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام** . ( عشرة أجزاء ) ، بيروت ، ١٩٦٨-١٩٧١ .
- جورج فضلو حوراني . **العرب والملاحة في المحيط الهندي** . ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- سبقينو موسكاتي . **الحضارات السامية القديمة** . ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير ) . **تاريخ الرسل والملوك** . دار المعارف ، القاهرة .
- عبد المجيد عابدين . **بين الحبشة والعرب** . دار الفكر العربي بالقاهرة ، ١٩٤٧ .
- فاروق خورشيد . **اضواء على السيرة الشعبية** . القاهرة .
- د. فرتزهوئل . **التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية** . الفصل الثاني من كتاب تاريخ العرب القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسن بن علي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- فيليب حتى . **تاريخ العرب** . الجزء الاول ، ترجمة ادوارد جورج وجبرائيل جبور ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- د. ويس رودوكناكس . **الحياة العامة للدول العربية الجنوبية** . الفصل الثالث من كتاب تاريخ العرب القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسن بن علي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- د. محمد بيومي مهران . **دراسات في تاريخ العرب القديم** . الرياض ، ١٩٧٧ .
- محمد عبد القادر بافتيه . **تاريخ اليمن القديم** . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
- الشيخ محمد عبده . **تفسير جزء عم من القرآن الكريم** .
- د. محمد عبد غانم . **سيف بن ذي يزن** .
- وندل فيليبس . **كنوز مدينة بلقيس** . ترجمة عمر الديرادي ، بيروت ، ١٩٦١ .
- ياقوت الحموي . **معجم البلدان** . دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ .

## ٢ - البحوث غير المنشورة

- د. دريفز . « نقوش سبئية من الحبشة » الندوة العلمية للحضارة اليمنية ، عدن ، ١٩٧٥ .
- سلطان ناجي . محاضرات في تاريخ اليمن القديم ، كلية التربية العليا بجامعة عدن ، ١٩٧٣ .
- د. محمود الغول . « مكانة لغة نقوش اليمن القديمة في تراث اللغة العربية الفصحى » الندوة العلمية للحضارة اليمنية ، عدن ، ١٩٧٥ .
- ميخائيل بترونسكي . « التراث اليمني القديم في الحضارة الاسلامية » الندوة العلمية للحضارة اليمنية ، عدن ، ١٩٧٥ .
- د. هاشم جميعي . « دور اليمنيين في التاريخ الاسلامي » الندوة العلمية للحضارة اليمنية ، عدن ، ١٩٧٥ .
- جميع بحوث الندوة العلمية للحضارة اليمنية بعدن عام ١٩٧٥ محفوظة حاليا بمكتبة المركز اليمني للابحاث الثقافية ، كريتر ، عدن ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

## ٣ - الدوريات

- اغناطيوس يعقوب الثالث . « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » ، **المجلة البطريركية** ، دمشق ، ١٩٦٦ .
- د. جعفر ظفاري . « دراسات في تاريخ المجتمع اليمني القديم » ، **مجلة الثقافة الجديدة** ، عدن ، مارس ١٩٧٤ .
- محمد عبد الكريم عكاشة . « مقاومة الفزرو الحبشي لليمن » ، **مجلة الثقافة الجديدة** ، العدد الخامس ، عدن ، ١٩٧١ .

## ثانيا : مراجع البحث باللغات الاجنبية

- Cambridge Ancient History, X (1934), XII (1939).
- Charlesworth, M.P. *The Periplus Maris Erythrael*, Class Quart, 22, (1928).
- Gibbon, E. *The Decline and Fall of the Roman Empire*. London. 1950.
- Herodotus: *The Histories*. (Penguin Classica) London. 1960.
- Jamme, A. *Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilgis - Marib*.
- Lesquier. *L' Armee Romaine d' Egypte*.
- Pliny. *Natural History*. trans, by M. Rackham, London. 1954 - 7.
- Strabo. *The Geography of Strabo*.
- Von Kremer. *Sudarabische Sage*.